

موقف الطَّبْرِيِّ من الشعر في تاريخه

◆ عبد العزيز إبراهيم*

الملخص:

الطَّبْرِيُّ هو محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ) يُكنى بأبي جعفر، لا تختلف المظانُّ التراثية التي ترجمت له على سعة علميته في العلوم الشرعية والتاريخية، فضلاً عن اللغوية، التي ظهرت في مؤلفاته الكثيرة، ومنها (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) و (تاريخ الرسل والملوك) و (طرق الحديث) إلخ.

نظّم الشعر لكنّه لا يختلف عمّا يكتبه العلماء، ولذا وظّفه في كتابه الكبير (تاريخ الطَّبْرِيِّ)، وقد اعتمد على سابقيه الذين كتبوا السيرة، وكانت خطة بنائه تقوم على قسمين: الأول منذ الخليفة إلى ظهور الإسلام، يسردُ فيها الأحداث التي كانت ناتجة عن الصراعات بين القبائل والطوائف، ولكنّه في كتاباته لتاريخ المسلمين اتخذ من السنين زمناً يُورّخ لحوادثه، وفي بحثنا عن موقفه من الشعر الذي استشهد به في تاريخه اعتمدنا ثلاثة منعطفات، هي: طرق عرضه، وتوثيقه، وتوظيف أغراضه.

فكان الاستطرادُ، والمكانُ، وتعدُّدُ أسماء الشعراء، والتعليق، والقطع، هي ركائز المنعطف الأول. وصحة النصّ، وتوثيقه هي ركائز المنعطف الثاني. أمّا تحلية النصّ، وتأييد وجهة نظره، وتزيين الأمثال بالشعر، وتوكيد الأحداث فكانت هي ركائز المنعطف الثالث.

توزّع الشاهد الشعريّ الذي اعتمده الطَّبْرِيُّ في تاريخه على أربعة أنواع، هي: ١. صاحب الشاهد أو قائله. ٢. الشعر المنحول أو المصنوع. ٣. الشعر المجهول النسبة أو القائل. ٤. الشعر المختلّف في نسبه أو المتدافع فيه.

وانتهينا إلى أنّ الطَّبْرِيَّ لا يختلف عن سابقيه في نقل الأحداث والوقائع، ولا رأي له في ما يعرضه من هذه الأحداث، حتّى الشاهد الشعريّ لا يملك حسّاً نقدياً يميّز فيه بين الصحيح والمنحول، شعاره: ما قاله القدماء هو الصواب.

* باحث عراقيّ - الديوانية.

الكلمات المفتاحية: الطبري، تاريخ الطبري، الشعر العربي، نقد الشعر، الشعر المنحول، الأمثال في الشعر.

تقديم: (الرجل - التاريخ)

هو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير بن غالب^(١)، وُلد سنة أربع وعشرين ومائتين، بأمّ طبرستان، وتوفي سنة عشر وثلاثمائة ببغداد^(٢)، لا عقب له؛ لأنه لم يتزوج كما يذكر ياقوت قول الطبري: «فأنا لا ولي، وما حلت سروالي على حرام ولا حلال قط»^(٣)، وقد اشتهر بكنية (أبو جعفر) في المظان التراثية التي ترجمت له^(٤).

أما صفاته فكان «أسمر الأدمة، أعين نحيف الجسم مديد القامة فصيح اللسان»^(٥)، وكان

(١) «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، ابن خلكان (بتحقيق د. إحسان عباس): ١٩١/٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٢/٤، وفي «معجم الأدباء»: ٤٠/١٨، يذكر ياقوت الحموي أنّ سنة خمس وعشرين ومئتين هي سنة ولادته.

(٣) «معجم الأدباء»: ٥٥/١٨.

(٤) «الفهرست»، ابن النديم (بتحقيق رضا تجدد): ٢٩١،

«تاريخ بغداد»، الخطيب البغدادي (طبعة دار الكتاب العربي): ١٦٢/٢، «المحمّدون من الشعراء» القفطي،

(بتحقيق رياض عبد الحميد): ٢٦٣، «معجم الأدباء»: ٤٠/١٨، «وفيات الأعيان»: ١٩١/٤، «النجوم الزاهرة»:

٢٣٠/٢، «شذرات الذهب»: ٢٦٠/٢.

(٥) «معجم الأدباء»: ٤١/١٨.

عفيماً في خلقه^(٦).

لا تختلف المظان التاريخية في علميته وسعة معارفه، فيذكر الخطيب البغدادي في ترجمته: «وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسُنن وطُرُقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين...»^(٧)، ويؤكد القفطي في كتابه بقوله: «العالم الكامل المُقرئ النَّحويِّ اللُّغويِّ الحافظ الأخباريِّ جامع العلوم، لم يرَ في فنونه مثله...»^(٨)، لم يستقرّ في مكان وهو يبحث عن تلك العلوم في بلده وبلاد الأعاجم والعراق والشام ومصرَ والحجاز من أجل أن يسمع من علماء هذه الأوطان، فقد سمع «محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وأحمد بن منيع البغوي، وأحمد بن حميد الرّازي، وأبا همام الوليد بن شجاع، وأبا كريب محمد بن العلا.. وحدث عنه أحمد بن كامل القاضي وغيره»^(٩)، هذه السّعة العلميّة وكثرة الأسفار طلباً للعلم ظهرت في المؤلفات التي تركها، وتوزّعت بين التّفسير والفقه والتّاريخ والحديث،

(٦) «تاريخ بغداد أو مدينة السّلام»، الخطيب البغدادي:

١٦٤-١٦٥.

(٧) المصدر نفسه: ١٦٣/٢.

(٨) «إنباه الرّواة على أنباه النّحاة»، علي بن يوسف

القفطي، (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم): ٨٩/٣.

(٩) «معجم الأدباء»: ٤١/١٨.

فقد أحصى له المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم ستة وعشرين كتابًا ذكرها مَنْ ترجموا للطبري في مظانهم، ومنها (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) و(الخفيف في الفقه) و(تاريخ الرسل والملوك) و(طرق الحديث)^(١٠).

أما كتابه الفريد من نوعه في التاريخ فهو (تاريخ الرسل والملوك) أو ما يُعرف بـ(تاريخ الطبري)، الذي كان يؤلّف فيه سنة اثنتين وثلاثمئة للهجرة على ما ذكره صاحب الفهرست^(١١)، وقد وصفه القفطيُّ بأنّه: «أجلّ كتابٍ في بابهِ»^(١٢)، وقال عنه ابن خلكان في وفياته: «تاريخه أصحّ التواريخ وأثبتها»^(١٣)، وأثنى الصفديُّ في الوافي بالوفيات عليه بقوله: «وكان ابن جرير ثقةً في نقله، وتاريخه أصحّ التواريخ»^(١٤)، ويرى بروكلمان أنّ الطبري «أول مَنْ صنّف تاريخًا كاملًا باللّغة العربيّة منذ أوائل الزّمان إلى أيّامه»^(١٥).

يختلف اسم الكتاب في مظانّ القدماء فيسمّيه الخطيبُ البغداديُّ في سرده لمؤلّفات الطبري (تاريخ الأمم والملوك)^(١٦)، ويُطلق (١٠) (تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك))، الطبري، (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم): المقدمة، ويُنظر: «الفهرست»: ٢٩١.

(١١) «الفهرست»: ٢٩١.

(١٢) «إنباه الرّواة»: ٨٩/٣.

(١٣) «وفيات الأعيان»: ١٩١/٤.

(١٤) «الوافي بالوفيات»، الصفدي، (بتحقيق: أبي عبد الله جلال الأسيوطي): ١٣٣/٢.

(١٥) «تاريخ الأدب العربي»، كارل بروكلمان: ٤٥/٣.

(١٦) «تاريخ بغداد»: ١٦٣/٢.

عليه ياقوت الحموي (تاريخ الرسل والملوك وأخبارهم)^(١٧)، ونشره محمد أبو الفضل إبراهيم مُحَقَّقًا بـ «(تاريخ الطبري / تاريخ الرسل والملوك» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري)^(١٨) بعشرة أجزاء (مجلّدات)، ثمّ ألحق مجلّدًا آخرَ ضمّ ثلاثة مؤلّفات جمعها كتاب ذيول تاريخ الطبري، وهي: صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، تكملة تاريخ الطبري لمحمد بن عبد الملك الهمداني، والمنتخب من كتاب ذيل المذيل لمحمد بن جرير الطبري^(١٩).

أما المنهج الذي اعتمده في بناء تاريخه، فقد فرض الزّمنُ عليه هذا المنهج، إذ قسّم تاريخه على قسمين دون أن يشير إلى ذلك، فالأوّل تحدّث فيه عن حدوث الزّمان وتكوين الخليقة والحوادث التي صاحبها بما يتطابق مع أخبار الرّسل والملوك، من دون أن يبتعد عمّا جاء في التّوراة والقرآن حتّى ظهور الدّعوة للإسلام، والثّاني قد رتبّه بحسب الحوادث من عام الهجرة حتّى سنة ٣٠٢ هـ، وذكر في كلّ سنة ما وقع من أحداث حتّى قيل فيه: «استطاع أن يجمع بين دقّته جميع الموادّ المودّعة في كتب الحديث والتّفسير

(١٧) «معجم الأدباء»: ٦٨/١٨.

(١٨) صدرت الطّبعة الثّانية من «تاريخ الطبري، تاريخ الرّسل والملوك»، عن دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م بعد تمام تحقيقه وعمل فهرسه، تُنظر مقدّمة التّحقيق: ٣/١.

(١٩) صدرت الطّبعة الثّانية من «ذيول تاريخ الطبري»: بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عن دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م، تُنظر مقدّمة التّحقيق: ٥.

واللغة والأدب والسِّير والمغازي وتاريخ الأحداث والرِّجال، ونصوص الشعر والخطب والعهود، ونسق بينها تنسيقاً مناسباً وعرضاً رائعاً»^(٢٠).

وكانت مصادره هي كل ما سبقه من المواد التي يعرفها العرب من قبله، فضلاً عن مدونات الأقدمين «فأخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة، والسيرة عن عروة بن الزبير وابن إسحاق، والفتوح عن سيف بن عمر الأسدي، وتاريخ الأمويين عن عوانة بن الحكم، وأخبار العباسيين عن أحمد بن أبي خيثمة، وأخبار العرب قبل الإسلام عن عبيد بن شريّة الجهمي»^(٢١) ولا يختلف الطبري في عرضه للحوادث عن طريقة أهل الحديث باعتمادهم على الإسناد، فضلاً عن النقل عن سابقيه مسلماً بصحة المنقول دون نقده.

(١)

تذكر المظان التراثية التي ترجمت لحياة الطبري أن له شعراً. ولعل أقدم مصدر يؤكد ذلك ما قاله ابن النديم: «وكان متفنناً في جميع العلوم: علم القرآن والنحو والشعر واللغة والفقه، كثير الحفظ»^(٢٢)، ثم يروي خبراً فيقول: «أخبرني الثقة أنه رأى أبا جعفر الطبري بمصر يقرأ عليه شعر الطرماح أو الحطيئة... ورأيت أنا بخطه شيئاً

(٢٠) «تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك» (مقدمة التحقيق): ٢٤/١.

(٢١) المصدر نفسه والصفحة نفسها. وقد نبه المحقق على أنه أفاد ممّا كتبه د. جواد علي عن (موارد تاريخ الطبري) في مجلة (المجمع العلمي العراقي)، من دون أن يذكر العدد أو المجلد فضلاً عن السنة!

(٢٢) «الفهرست»: ٢٩١.

كثيراً من كتب اللغة والنحو والشعر والقبائل»^(٢٣)، ويُدْرجه القفطي في كتابه (المحمّدون من الشعراء وأشعارهم) فيقدّم قائلاً: «كان له (رحمه الله) شعرٌ فوق شعر العلماء»^(٢٤)، ولم يكتفِ بنظم الشعر بل تعلّم العروض حين سأله أحدُهم عنه، فقد ذكر ياقوت الحموي في معجمه: «قال أبو جعفر (الطبري): لما دخلتُ مصر لم يبقَ أحدٌ من أهل العلم إلا لقيني وامتحني في العلم الذي يتحقّق به، فجاءني يوماً رجلٌ فسألني عن شيء من العروض، ولم أكن نشطتُ له قبل ذلك، فقلتُ له: «عليّ قول ألا أتكلّم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غدٍ فصِرْ إليّ، وطلبتُ من صديق لي العروض للخليل بن أحمد فجاء به، فنظرتُ فيه ليلتي فأمسيّتُ غير عروضي وأصبحتُ عروضيّاً»^(٢٥)، وموقفه هذا يدلُّ على قدرته لسد ما يراه ناقصاً في معرفته.

وإذا كتب الشعر، فإنّ من يتعاطى هذا الفن لا بدّ أن يمتلك ذائقةً تؤهّل صاحبها في التعامل مع اللغة سعة في المفردات، ووصولاً إلى صور تعبيرية في القول، فإذا حاولنا أن نقرأ ما كتبه من هذا الشعر - بالرغم من قلّة النصوص التي نقلها القدماء عنه - فقد نتلمّس عند الطبري رؤية اجتماعية ووعياً باللغة، يدفع به إلى أن يطلّ على هذا العالم، فيفتح نافذة قريباً من الآخرين أو بعداً عنهم من دون أن تعدّه شاعراً تمكّن من أدواته،

(٢٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢٤) «المحمّدون من الشعراء وأشعارهم»: ٢٦٤

(٢٥) «معجم الأدباء»: ٥٦/١٨

فهو لا يخرج عما كتبه العلماء من شعر هو إلى الصنعة أقرب، عواطفه باردة.

(النص الأول) (٣٦)

إِذَا أَعْسَزْتُ لَمْ يَعْلَمْ رَفِيقِي

وَأَسْتَعْنِي فَيَسْتَعْنِي صَدِيقِي

حَيَائِي حَافِظٌ لِي مَاءَ وَجْهِي

وَرَفِيقِي فِي مُطَالِبَتِي رَفِيقِي

وَلَوْ أَنِّي سَمَحْتُ بِبَدَلِ وَجْهِي

لَكُنْتُ إِلَى الْغِنَى سَهْلَ الطَّرِيقِ

(النص الثاني) (٣٧)

خُلُقَانٍ لَا أَرْضَى طَرِيقَهُمَا

تِيهِ الْغِنَى وَمَذَلَّةَ الْفَقْرِ

فَإِذَا غَنَيْتَ فَلَا تَكُنْ بَطْرًا

وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَتَبَّ عَلَى الدَّهْرِ

(النص الثالث) (٣٨)

يُسِيءُ أَمِيرِي الظَّنَّ فِي جَهْدِ جَاهِدٍ

فَهَلْ لِي بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنْهُ سَبِيلٌ؟

تَأْمَلْ أَمِيرِي مَا ظَنَنْتَ وَقُلْتَهُ

فَإِنَّ جَمِيلَ الْقَوْلِ مِنْكَ جَمِيلٌ

(النص الرابع) (٣٩)

(٢٦) الأبيات في: «تاريخ بغداد»: ١٦٥ / ٢، و«معجم

الأدباء»: ٤٣ / ١٨، و«المُحمَّدون من الشعراء»: ٢٦٤، و«وَفَيَاتِ الأعيان»: ١٩٢ / ٤، و«الوفاي بالوَفَيَاتِ»: ١٣٣ / ٢ - ١٣٤.

(٢٧) البيتان في: «تاريخ بغداد»: ١٦٥ - ١٦٦، و«معجم الأدباء»: ٤٣ / ١٨، و«المُحمَّدون من الشعراء»: ٢٦٤.

(٢٨) البيتان في: «معجم الأدباء»: ١٨ / ٤٣ - ٤٤، و«المُحمَّدون من الشعراء»: ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٢٩) البيت في: «معجم الأدباء»: ١٨ / ٥٨، و«الوفاي بالوَفَيَاتِ»: ١٣٥ / ٢.

سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ لَهُ أُنَيْسُ

وَلَا لَهُ فِي عَرِشِهِ جَلِيسُ

هذه المقطعات من شعر أبي جعفر محمد

بن جرير الطبري، ترسم لنا أن الرجل الذي نعرفه

علامة في التفسير والفقه والتاريخ يتعاطى هذا

الفن من دون أن يكون له باع بعيد فيه، فشعره لا

يخرج عن أنه أبيات إخوانية باردة، لا حرارة فيها

إلا الصّدق في وصف لحظات يتجاوزها القائل

دون أن تترك في السامع أي أثر في نفسه؛ لأنه

سمع في حياته اليومية ما يُشاكلها من القول، فهي

أقرب إلى الشعر المصنوع الذي وصفه ابن سلام

الجمحي في طبقاته بقوله: «وفي الشعرِ مصنوعٌ

مُفتعلٌ موضوعٌ، كثير لا خير فيه ولا حجة في

عربية، ولا أدب يُستفاد ولا معنى يُستخرج، ولا

مثل يُضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مُقذع، ولا

فخر مُعجب، ولا نسيب مستطرف...» (٣٠) وهذا هو

شعر العلماء؛ لأنه يخلو مما تعارف العرب عليه

في تقويم الشعر، ولذا نلاحظ أن الطبري في تاريخه

لم يذكر هذا الشعر أو يستشهد به؛ لأنه لا يُشبع

جائعا ولا يقنع قارئاً.

فإذا قيل: لم يكتب الطبري الشعر؟ أقول

إن الرجل يعرف أن الشعر في عصره يتكسب فيه

الشعراء، لكنه لا يتعامل فيه من هذا الباب، بل

من باب آخر هو أن العرب كانت تنظر إليه على

أنه ديوانهم الذي يحفظ أيامهم، ومن كان يريد

أن يعرف العرب فلا بد أن يحفظ شعرهم، وهذا

ما قدّمنا له حين ذكرنا أن الطبري كان يحفظ

شعر الحطيئة أو الطرمّاح، وربما حفظ كثيراً من

شعر غيرهما، هذه المعرفة دفعته إلى حفظ الشعر

(٣٠) «طبقات فحول الشعراء»، ابن سلام الجمحي،

(بتحقيق: محمود محمد شاكر): ٤ / ١.

ومن ثمّ نظمه، فخلق هذا الحفظ وذاك النّظم- بالرّغم من صناعته- نائقةً تُمكّنُهُ من التّعامل مع النّصوص الشّعريّة التي احتاج لها شواهد في تاريخه شعراً كان أو رجلاً

(٢)

إنّ حركة التدوين التي ظهرت في القرن الثّاني الهجريّ في شتى العلوم الشّعريّة (التّفسير والحديث والفقّه) والعلوم الدّنيويّة (اللّغة والأدب والتّاريخ والسّيرة)، لم تجد من مناصٍ إلا أن تضمّ ما قالته العرب شعراً إلى المؤلّفات الجامعة لأشتات هذه العلوم، فالمؤلّف في هذه العلوم يجمع التّخصّص (المادّة) و(الشّعر) الذي يلعب دوراً في تقريب القول وفهمه إلى المتلقّي، من دون أن يُحاكم النّصّ باعتباره جاء في شعر العرب، صحّته تكرر تداوله نقلاً، وهذا ما نلحظه في رأي الدّكتور ناصر الدّين الأسد الذي يقول: «إنّ الشّعر في كتب التّاريخ والسّيرة ليس هدفاً يقصد لذاته، ولم يكن موضوعاً للتّحقيق والتّمحيص، وإنّما كان حليّة أحياناً، ودليلاً على القصة أو الخبر أحياناً أخرى، وكان في جميع هذه الأحايين يقصد التّأثير في نفوس السّامعين أو القارئین، حتّى يندمجوا في جوّ الحوادث نفسها، وتصفو إليها أفندتهم فيصدّقوها، أو على الأقلّ لا يناقشوا أمر صحّتها»^(٣١). وهذا ما نبّه عليه الطّبريّ في مقدّمه تاريخه بقوله: «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه، أو

(٣١) «مصادر الشّعر الجاهليّ وقيمتها التّاريخيّة»، د.

ناصر الدّين الأسد: ٦٠٥.

يستشعنه سامعه، من أجل أنّه لم يعرف له وجهاً في الصّحّة، ولا معنًى في الحقيقة، فليعلم أنّه لم يُؤت في ذلك من قبلنا، وإنّما أتيت من قبل بعض ناقله إلينا، وأنا إنّما أدّينا ذلك على نحو ما أدّيت إلينا»^(٣٢).

فإذا كان الخبر موضع اعتذار من المؤلّف، فإنّ الشّعر المذكور إلى جانبه يأخذ مكاناً من هذا الاعتذار إذا صار الشّكّ موطناً له، لكون الشّعر نفسه بضاعة قابلة للتّداول والنّقل، يخضع إلى التّبديل والتّغيير فضلاً عن الانتحال والتّصنيع، فكيف تكون الرّواية إذا كانت (سيرة) ابن إسحاق (ت ١٥١هـ) بما حملت من أشعار غنّها وسمينها، باطلها وصحيحها»^(٣٣) من مصادره؟ أو عنه يقول الزّهريّ (ت ١٢٣هـ): «كان أكثر علمه بالمغازي والسّير فقبل النّاس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشّعر، أُتينا به فأحمله»^(٣٤).

لكنّ الطّبريّ غير ابن إسحاق علماً وحفظاً للشّعر وإنشاده، وهذه المميّزات تصدّرتها نائقةً فنيّةً، دون أن يغيب عن ذهننا أنّ الإشكال الذي يواجه الطّبريّ في الاستشهاد بالشّعر، يكون في القسم الأوّل من تاريخه، وهو مختصّ بحقبة ما قبل الإسلام، دون فيه لعصر حدوث الرّمان، وجاء

(٣٢) «تاريخ الطّبريّ»: مقدّمه المؤلّف: ٨/١.

(٣٣) «السّيرة النّبويّة»، ابن هشام، (حقّقها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السّقا وزميلاه): ١٦/١.

(٣٤) «طبقات فحول الشّعراء»: ٨/١.

فيه بالنص الشعري الذي يؤيد ما يذهب إليه في سرد أحداث التاريخ، وهو ما نبه عليه الزهري في نقده لابن إسحاق - كما قدمنا - بقوله: «فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودٍ فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقوافٍ»^(٣٥).

ولا يقف الأمر على ابن إسحاق، بل جُل الذين كتبوا في السيرة أو التاريخ، وهذا ما دفع بالدكتور طه حسين إلى القول بنظريته، وهي: «أن الكثرة المطلقة مما نُسِمه الشعر الجاهلي، ليست من الشعر الجاهلي في شيء»^(٣٦).

فإذا حاولنا أن نقدم إحصائية للشعر الذي استشهد به الطبري في تاريخه، فإنه قد يتجاوز أربعة آلاف وسبعمائة وخمسين بيتاً غير الرجز الذي بلغ ألفاً وثلاثين شطراً، وقد توزعت النصوص الشعرية المستشهد بها بحسب عدد الأبيات إلى: نص واحد ضم مائة وخمسة وثلاثين الذي نسبه إلى الخريمي (أبي يعقوب إسحاق) من العصر العباسي وهو يصف ما حلَّ ببغداد في أحداث سنة ١٩٧ هـ، مطلعها^(٣٧):

قالوا: ولم يلعب الزمان ببغـ

دادَ وتعثر بها عواثرها

وهذه القصيدة هي أطول نص استشهد به الطبري.

(٣٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣٦) «في الشعر الجاهلي»، د. طه حسين: ٩.

(٣٧) «تاريخ الطبري»: ٤٤٨/٨ - ٤٥٤.

وتأتي قصيدة كعب الأشقري بثلاثة وثمانين بيتاً بعدها، وهو من الشعراء الأمويين، وهو يتحدث عما جرى سنة ٧٧ هـ، ومطلعها^(٣٨):

يا حفص إنني عداني عنكم السفر

وقد أرقنت فأذى عيني السهر

وثالث القصائد الطويلة لعبد الله بن خليفة، وفيها يعتب على عدي بن حاتم الطائي ضمن أحداث سنة ٥١ هـ، وعدتها ستة وخمسون بيتاً، ومطلعها^(٣٩):

تذكرت ليلي والشبابة أعصرا

وذكر الصبا برح على من تذكرنا

وهناك خمس قصائد تجاوزت الثلاثين بقليل، تدور أحداثها أيام الأمويين، ثم تقل الأبيات إلى ما يتجاوز العشرين بيتاً أو العشرة أبيات حتى تتراوح بين البيت الواحد أو الاثنين في أحيان كثيرة. أمّا أطول قصيدة رجز فهي بـ(سبعة وثلاثين شطراً) لأبي نخيلة في أحداث سنة ١٤٧ هـ، مطلعها: «إلى أمير المؤمنين فاعمدي»، وهناك ست قصائد تفاوتت أطولها بين عشرين شطراً وأربعة وثلاثين، وما تبقى يتراوح بين الشطرين وثمانية عشر شطراً في أغلب الأحيان، وهذا الكم سنفرش له أرضاً تلمه خطة بحث تقوم على ثلاثة منعطفات، هي: طرُق عرضه، وتوثيقه، وتوظيف أغراضه.

هذه الثلاثية هي ما يوصلنا إلى موقف الطبري من الشاهد الشعري الذي زين تاريخه به، جرياً

(٣٨) المصدر نفسه: ٦ / ٣٠٤ - ٣٠٨.

(٣٩) المصدر نفسه: ٥ / ٢٨١ - ٢٨٥.

على نهج السابقين عليه.

المنعطف الأول: طرق عرض الشعر

ويكون ذلك من خلال قراءة تنا لأحداث التاريخ القائم على السنوات التي عبّرت عن إحساس الطبري بالزّمان التاريخي، وفيه يستشهد بالنص الشعري ويظهر في:

١- الاستطراد: ونقصد به أن يسرد الطبري الحدث الذي وقع في تلك السنة، ولما يجد نفسه قد أطال يُزيّن هذه الإطالة بأبيات شعرية تُقرب القارئ لما يسرده من جهة، وتُزيل في الوقت نفسه الملل عنه، وتتلّمس ذلك في الأحداث الخطيرة، مثالنا إلى ذلك الصراع بين الأمين والمأمون على الخلافة الذي انتهى بقتل الأمين في أحداث سنة ١٩٨ هـ، واستيلاء قوّات المأمون على بغداد، فاستشهد بأبيات للشاعر العباسي حسين الخليل^(٤٠) يبارك خزيمة الذي يُناصر الأمين، لكنّه لا يُخفي مباركته للمأمون بانتصار قائده طاهر بن الحسين، الذي تمكّن من أن يُفرّق عن الأمين جنده ويصفهم بالغوغاء والسّفلة، ويذكر قصيدة عمرو الوراق التي يمدح فيها طاهر بن الحسين^(٤١)، لكنّ الطبري- وهو يسرد بشاعة قتل الأمين- كتب أنّ «إبراهيم بن المهديّ لما بلغه قتل محمّد، استرجع وبكى طويلاً»، ثمّ قال قصيدة في تسعة أبيات، مطلعها:^(٤٢)

عُوجاً بمغنى طللٍ دائرٍ

بالخُلْد ذات الصخرِ والأجرِ

ثمّ استدرج الطبري فكتب: «وبلغ ذلك المأمون

(٤٠) «تاريخ الطبري»: ٨/ ٤٧٣.

فاشتدّ عليه».

٢- المكان: وأراد منه الطبري أن يكون شاهداً على ما حدث فيه، سواء أكان موطناً للفرح أم الحزن والمأساة، ولعلّ خير شاهد على ذلك قصيدة الخريمي الرائيّة، التي تقدّم ذكرها بأنّها أطول قصيدة صوّرت مأساة بغداد أيام الصراع بين الأمين والمأمون في أحداث سنة ١٩٧ هـ، وحصار أهلها الذين «نلّوا وانكسروا وذلت الأجناد وتواكلت عن القتال، إلا باعة الطريق والعُراة وأهل السجون والأوباش»^(٤٣) بعد إباحة النهب والسلب لهم.

٣- تعدّد أسماء قائل الشعر: جرى الطبري على ذكر الشعراء المُستشهد بشعرهم بأسماء عدّة، فقد يكون بالاسم الثلثي وهو يقدم لبنتين في أحداث سنة ٢٨٢ هـ قائلًا: فقال في ذلك عبد الله بن عبد الله بن طاهر^(٤٤)، أو باسم القائل واسم أبيه ولقبه كما قدّم لقصيدة (كعب بن معدان الأشعري)^(٤٥) في أحداث سنة ٨٤ هـ، وكانت بعشرة أبيات. وقد يكتفي بالاسم واللقب مثلما قدّم لأربعة أبيات لـ(عُجُوم المحاربي)^(٤٦) في أحداث سنة ١١ هـ، أو يضيف الاسم إلى المكان (المدينة) مُتحدّثًا عن سنة ٦٥ هـ، فقدّم قائلًا: «وكان ممّا قيل من الشعر في ذلك قولُ أعشى همدان»^(٤٧).

(٤١) المصدر نفسه: ٨/ ٤٧٤.

(٤٢) المصدر نفسه: ٨/ ٤٨٩.

(٤٣) المصدر نفسه: ٨/ ٤٤٨.

(٤٤) المصدر نفسه: ١٠/ ٤١.

(٤٥) المصدر نفسه: ٦/ ٣٨٦-٣٨٧.

(٤٦) المصدر نفسه: ٣/ ٣١٧.

(٤٧) المصدر نفسه: ٥/ ٦٠٧-٦٠٩.

ومطلع هذه القصيدة التي نسبها الطبري إلى بعض شعراء اليمن:

ألم تهتج فتذكر الوصالا

وحبالاً كان متصلاً فزالا

فقطع الطبري روايتها بقصيدة قدم لها: «فقال

عمران بن هلباء الكلبى يجيبه»:

قفي صدر المظية يا حلالا

وجذبي حبل من قطع الوصالا

والقصيدتان متفقتان في القافية (اللامية)

والبحر (الوافر).

(٢)

المنعطف الثاني: توثيق النص الشعري

(صحته ونقده):

(أ) صحة النص: ويظهر في ثلاثة مواقع، هي:

الأول: التوكيد بالقطع: فترى الطبري حين

يتحدث عن فشل ثورة الزنج في أحداث سنة

٢٧٠هـ وقتل صاحبها، يقول: «وكان خروج

صاحب الزنج يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر

رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين.. فقال

الشعراء أشعاراً كثيرة، فمما قيل في ذلك قول

يحيى بن محمد الأسلمي»^(٥٢)، وبعد تسعة أبيات

يقول: (في قصيدة طويلة) ثم أربعة أبيات ليتقدم

لها «ومن ذلك أيضاً قوله»، وبعد قصيدتين لشاعر

آخر يعود إلى الشاعر نفسه بأبيات خمسة معلقاً

بقوله: «وهي أيضاً طويلة»، وجاء هذا التكرار في

الاستشهاد بشعر الشاعر الذي اعتمد فيه الطبري

على قطع القصيدة وتوكيد طولها، كي يذهب إلى

(٥٢) «تاريخ الطبري»: ٦٦٣-٦٦٦.

وقد يختصر بالشهرة مثلما قدم لخمس

أبيات الفرزدق في أحداث سنة ٥٠هـ^(٤٨)، وقد

يقنع القارئ فيكتفي بالكنية فيذكر بيتين لأبي

دلامة^(٤٩) ساخراً في أحداث سنة ١٥٣هـ، أيام أبي

جعفر المنصور.

٤- التعليق: وهو أن يبدي الطبري رأياً في سرده

لحدث ما، ثم يطعم ذلك المسرود بالشعر، مستدرجاً

باسم صاحب الأبيات، مثلما كتب في أحداث سنة

١٩٧هـ، مُحدثاً عن الصراع بين أصحاب الأمين

الذي يسميه (محمد المخلوع) وأصحاب طاهر بن

الحسين وهو قائد جند المأمون والداعي لخلافته،

وقد تمرّد بعض جنده لتأخر أرزاقهم (فقال

شاعر منهم- وذكر أنه عمرو بن عبد الملك الوراق

العنزي)^(٥٠).

٥- القطع: وهو أن يسرد الطبري الحدث

ويطعمه بالشعر، لكنه يقطعه بتصحيح الرواية،

رواية أحد الأبيات، أو بقصيدة تناقض النص الذي

ذكره شاهداً على ما حدث في تلك السنة، وهذا ما

صنعه في أحداث سنة ١٢٦هـ، وهو يروي قصيدة

لبعض شعراء اليمن، فصَحَّح رواية البيت التاسع:

ولا تركوه مسلوباً أسيراً

يسامر من سلاسلنا الثقالا

فقطع رواية البيت قائلاً: ورواه المدائني: «يعالج

من سلاسلنا»^(٥١).

(٤٨) المصدر نفسه: ٥/٢٤٧.

(٤٩) المصدر نفسه: ٨/٤٢-٤٣.

(٥٠) المصدر نفسه: ٨/٤٥٩-٤٦٠.

(٥١) المصدر نفسه: ٧/٢٣٤-٢٣٥.

صحة النَّصِّ وتوثيقه.

الثَّانِي: التَّدَافِعُ فِي نَسْبَةِ النَّصِّ إِلَى قَائِلِهِ: فِي

أَحْدَاثِ سَنَةِ ٥٨ هـ، اسْتَشْهَدَ الطَّبْرِيُّ بِثَلَاثَةِ

أَبْيَاتٍ إِلَى «رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ»^(٥٣)

ثُمَّ اسْتَدْرَكَ بَعْدَهَا قَائِلًا: «قَالَ عَمْرُ بْنُ شَبَّهَةَ:

الْبَيْتَ الْأَخِيرَ فِي الْحَدِيثِ، أَنْشَدَنِيهِ خَلَادُ بْنُ يَزِيدَ

الْبَاهِلِيِّ»، وَيَقْصِدُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

هِيَ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ

عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَا

وَفِي هَامِشِ الصَّفْحَةِ كَتَبَ الْمُحَقِّقُ أَبُو الْفَضْلِ:

«مِنْ أَبْيَاتِ ذِكْرِهَا يَأْقُوتُ فِي ١/٥٨، وَنَسَبَهَا إِلَى

عَيْسَى بْنِ فَاتِكِ الْخَطْفِيِّ، أَحَدِ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ

ثَعْلَبَةَ»، وَالْإِحَالَةَ نَاقِصَةً هَلْ هِيَ فِي (مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ)

أَمْ فِي (مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ)؟ وَالصَّوَابُ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ

(أَسْك)^(٥٤)؛ لِأَنَّ الْإِحَالَةَ تَكُونُ عَلَى الْمَكَانِ لِكُونِهِ

مَعْجَمًا لِلْبُلْدَانِ.

الثَّلَاثُ: إِسْنَادُ الشَّعْرِ إِلَى رِوَاثِهِ: قَالَ الطَّبْرِيُّ فِي

أَحْدَاثِ سَنَةِ ١٤ هـ: «كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ (بُنُ يُحْيَى)،

عَنْ شُعَيْبِ (بِنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ)، عَنْ سَيْفِ (بِنِ

عُمَرَ التَّمِيمِيِّ)، عَنْ قُدَامَةَ الْكَاهِلِيِّ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، أَنَّ

عَشْرَةَ إِخْوَةٍ مِنْ بَنِي كَاهِلِ بْنِ أَسَدٍ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو

حَرْبٍ، جَعَلَ أَحَدُهُمْ يَرْتَجِزُ لَيْلَتَيْهِ، وَيَقُولُ:

أَنَا ابْنُ حَرْبٍ وَمَعِي مِخْرَاقِي

أَضْرِبُهُمْ بِصَارِمِ رَقْرَاقِي

(٥٣) المصدر نفسه: ٣١٤/٥

(٥٤) «معجم البلدان»، ياقوت الحموي، (طبعة دار إحياء

التراث العربي): مادة (أسك): ٥٣/١.

إِذْ كَرِهَ الْمَوْتَ أَبُو إِسْحَاقِ

وَجَاشَتْ النَّفْسُ عَلَى التَّرَاقِي

صَبْرًا عِفَاقُ إِنَّهُ الْفِرَاقُ

وَكَانَ عِفَاقُ أَحَدِ الْعَشْرَةِ، فَأَصِيبُ فَخَذُ صَاحِبِ

هَذَا الشَّعْرِ يَوْمئِذٍ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

صَبْرًا عِفَاقُ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ

صَبْرًا وَلَا تَغْرُزُكَ رَجُلٌ نَادِرَةٌ

فَمَاتَ مِنْ ضَرْبَتِهِ يَوْمئِذٍ^(٥٥).

(ب) نَقْدُ الشَّعْرِ

قَلْنَا إِنَّ الطَّبْرِيَّ نَظَّمَ الشَّعْرَ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى شِعْرِ

الْعُلَمَاءِ، لَكِنَّ هَذَا سَاعَدَهُ عَلَى اخْتِيَارِ النَّصُوصِ

الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي احْتِجَّاجُ إِلَيْهَا فِي تَارِيخِهِ لِتَكُونَ

شَوَاهِدَ فِي سَرْدِ أَحْدَاثِ السَّنَوَاتِ، لَكِنَّ هَذِهِ الصَّنْعَةُ

لَمْ تُمَكِّنْهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِكَ حِسًّا نَقْدِيًّا لِلْحُكْمِ عَلَى تِلْكَ

النَّصُوصِ، فَهُوَ إِنْ نَجَحَ فِي أَنْ يُلَاثِمَ بَيْنَ الْحَدِيثِ

وَالشَّاهِدِ الشَّعْرِيِّ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقْنِعَ الْقَارِئَ كَيْ

يَتَعَاطَفَ مَعَ مَا يَسْرُدُهُ مِنْ أَحْدَاثٍ، كَانَتْ تَعُوْزُهُ

رُؤْيَا نَقْدِيَّةً لِتَقْوِيمِ النَّصِّ صِحَّةً أَوْ انْتِحَالًا.

وَلِنَا فِي هَذَا مَا ذَكَرَهُ عَنْ عَهْدِ آدَمَ بَعْدَ أَنْ هَبَطَ

عَلَى الْأَرْضِ وَمَا حَدَّثَ بَيْنَ وِلْدَانِهِ، فَقَالَ الطَّبْرِيُّ:

«وَذَكَرَ أَنَّ قَابِيلَ لَمَّا قَتَلَ أَخَاهُ هَابِيلَ بَكَاهُ آدَمُ عَلَيْهِ

السَّلَامُ... فَقَالَ:

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا

فَوَجَّهُ الْأَرْضَ مُغْبَرًا قَبِيحُ

تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ

وَقَلَّ بِشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

(٥٥) «تاريخ الطبري»: ٥٥٨/٣.

قال: فأجيب آدم عليه السلام:

أبا هابيل قد قُتِلَ جميعاً

وصار الحي كالميت الذبيح

وجاء بشيرة قد كان منها

على خوف فجاء بها يصيح^(٥٦)

ويلاحظ أن الطبري في تنبيهه على المنحول من الشعر لا يحكم به، بل ينقل حكم السابقين عليه والذين استقى منهم أخباره، ومثالنا على ذلك في القسم الأول من تاريخ (ما قبل الإسلام)، وقد ذكر أخبار العرب في الحيرة والأنبار، فنقل عن ابن الكلبي نصاً كتبه عن جذيمة الأبرش في أحد عشر بيتاً، مطلعها:

رُبِّمَا أُوْفِيَتْ فِي عِلْمٍ

تَرْفَعُنْ بُرْدِي شِمَالَاتٍ

ثم يقول الطبري في نهاية الشعر: «قال ابن الكلبي: ثلاثة أبيات منها حق، والبقية باطل»^(٥٧)، ولم يُحدِّد ابن الكلبي الأبيات الثلاثة، أهي الأولى أم غيرها؟ ولا يبتعد عنه الطبري في هذا الصمت! وربما يكون ابن سلام الجمحي أكثر شجاعة حين ذكر الأبيات الأولى والثاني والخامس لجذيمة في طبقاته^(٥٨) مع بعض الاختلاف في الرواية.

وما نجده أنه يُنبه على طول القصيدة وفيها بيت واحد، فتراه يذكر نصاً للفرزدق في ثمانية أبيات، ثم يعقبه في أحداث سنة ٥٠ هـ فيكتب: «وقال أيضاً»^(٥٩):

تداركني أسباب عيسى من الردى

ومن يك مولاة فليس بواحد

ثم يعلق بقوله: «وهي قصيدة طويلة».

والقصيدة في ديوان الفرزدق^(٦٠) مع اختلاف روي الشطر الأول (الصدر): «حَبَانِي بَهَا الْبَهْرَزِي، نَفْسِي فَدَاؤُهُ». والبهرزي: هو المدوح عيسى بن حُصَيْلَةَ السُّلَمِي، استجاره ليحميه من جور زياد بن أبيه، ولم تكن مثلما ذكر، فالقصيدة بعشرة أبيات، ولا تُعدّ طويلة إلا إذا كانت لها رواية في مخطوطة أخرى لديوان الفرزدق، ولكن الطبري كرر مقولته في بيتين قدّم لهما بقوله: «فنزل - يقصد الفرزدق - في بكر وائل، فأمن، فقال يمدحهم:

وقد مثلت أين المسير فلم تجد

لغورتها كالحَيِّ بكر بن وائل»

وعلق بعد البيتين: «وهي قصيدة طويلة، ومدحهم بقصائد آخر غيرها»^(٦١)، والقصيدة في عشرة أبيات أيضاً، باختلاف صدر البيت في ديوان الشاعر: «تَبَعَتْ جَوَارًا فِي مَعَدِّ فَم تَجِدُ»^(٦٢).

(٤)

وإذا كان الشعر هو المقصود دون غيره في تاريخ الطبري شاهداً، فإن هذا الشعر لا يرى فيه كتاب السيرة والتاريخ والتفسير أن يخضعوا لشروط الاستشهاد في مؤلفاتهم؛ لأن القضية تتعلّق باللغويين والنحاة على وجه الخصوص،

(٦٠) «شرح ديوان الفرزدق»: ١/٢٨٢-٢٨٣.

(٦١) «تاريخ الطبري»: ٥/٢٤٥-٢٤٦.

(٦٢) «شرح ديوان الفرزدق»: ٢/٢٢٤-٢٢٥.

(٥٦) «تاريخ الطبري»: ١/١٤٥.

(٥٧) المصدر نفسه ١/٦١٣-٦١٤.

(٥٨) «طبقات فحول الشعراء»: ١/٣٧-٣٨.

(٥٩) «تاريخ الطبري»: ٥/٢٤٥.

وهذا ما تمسك به القدماء وأكّده الأصمعي (ت ٢١٦هـ) بقوله: «ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة (ت ١٧٦هـ) وهو آخر الحجج»^(٦٣)، وهمهم أنّ الشعر يُمثّل ضفةً أخرى تُقابل نثرية الحكاية، وتُرتّب حرارة الأحداث، وأنّه طريقة تُخفّف من طول السرد الذي يلجأ إليه الكُتّاب والمؤرّخون والمفسّرون لتزيين المكتوب، ولذا فإنّك لن تجد -إلا نادرًا- واحدًا من هؤلاء من اهتم بدراسة هذا الشاهد، وطبّق رأي النقاد عند الاستشهاد به في تراجمهم أو سرد أحداثهم، من ناحية صحّة النّص أو نسبته إلى قائله، ناهيك عن اختلاف روايته^(٦٤).

إنّ ما هدف إليه الطّبري في تاريخه حين اتّخذ من الشعر شاهدًا، هو أن يحقّق أغراضًا عدّة حاول فيها أن يوظّف البيت أو الأبيات أو القصيدة في أحداث تاريخية امتدّت لأكثر من ثلاثة قرون بعد الإسلام، فضلًا عن العصر الذي سبقه (الجاهليّ) حتّى بداية الخليفة، غطّى أكثرها ولم يستشهد بالشعر في بعضها، أمّا هذه الأغراض فإنّها تتمثّل في:

١- **تحلية السرد:** ويكون الشعر حليةً في تاريخ الطّبري إذا تعلّق الأمر بأحداثٍ أقرب ما تكون إلى المبالغة في حدوثها، أو إدخال الخيال في سرد

(٦٣) «خزانة الأدب، ولبّ لباب لسان العرب»، عبد القادر البغداديّ (بتحقيق عبد السلام محمّد هارون وشرحه): ٨/١.

(٦٤) وقد شرحتُ ذلك تفصيلًا في كتابي: «الرواية الثّانية: دراسة تحقيق النّصوص في مصادرها الثّانوية»: ٥٤-١٨٦.

أحداثها، ولعلّ حروب العرب فيما بينهم، أو حروبهم مع جيرانهم، بما تصوّره من بطولات في الجاهلية، بها حاجة إلى هذا النوع من الشعر، ولعلّ سيرة جذيمة الأبرش، الذي تحدّث عنه الطّبري وهو ينقل عن ابن الكلبي - في غاراته على طسّم وجديس باليمامة - مثال على ذلك، أو زواج عديّ بن نصر من أخت جذيمة بالخداعة، وفيها يقول مخاطبًا أخته التي أسهمت في خداعه:

«حَدَّثِينِي وَأَنْتِ لَا تَكْذِبِينِي

أَبْحُرُّ زَيْنِيَتْ أُمِّ بَهْجِينِ؟!»^(٦٥)

٢- **تأييد وجهة نظره:** لم تكن عند الطّبري وجهة نظر لأيّ طرف من أطراف الصّراع التي ساهمت بصنع أحداث التاريخ الإسلاميّ أو ما قبله، فهو ينقل عن السّابقين له باعتبار أنّ ما جاء به القدماء هو الصّحيح، من غير أن يُبدّي وجهة نظر نستشققها من السرد التاريخي، فإنّ ذكر قصيدة لأحد طرفي الصّراع، جاء بما قاله الطرف النّقيض، فهو يذكر أبياتًا لأُميّة في أحداث سنة ١٢٦هـ، فيُقدّم لها (إنّ هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن) ثمّ يذكر قصيدة فيُقدّم لها قائلًا: «فقال عمران بن هلباء يُجيبه»^(٦٦)، وهو بهذا الاستشهاد يؤكّد حياده، وأنّ وجهة نظره هي أن يعرض الأحداث، من دون أن ينحاز لطرف على حساب طرفٍ ثانٍ.

٣- **تزيين الأمثال بالشعر:** وهو أن يعرض لأوضاع النّاس وما يلحقهم من تجاوز السّلطان

(٦٥) «تاريخ الطّبري»: ٦١٥/١.

عليهم، فيؤيد سرده بمثلٍ ويكون الشعرُ رديفًا له. ففي عرضه لأحداث سنة ٥٠هـ وتولية زياد بن أبيه والياً عليها، وقتله لأول رجلٍ فيها بعد أن ظفر به في الكوفة، «فقال زياد: أتتك بحائن رجلاه»^(٦٧)، والحائن الأحمق^(٦٨)، ثم استشهد بثلاثة أبيات لأوفي بن حصن الطائي.

لقد جمع الطبري في تاريخه مئة وستة وسبعين مثلاً، يُقرب المثل إلى الأحداث التاريخية من دون أن يهجر الشعر على حساب الأمثال.

٤- **توكيد الأحداث:** وربما يكون التوكيد أهم غرض هدف إليه الطبري - جرياً على نهج القدماء في ذكر الشعر - شاهداً في كتابة الأحداث، وبيان أن ما يكتبه هو ما حدث فعلاً، ذلك أن القارئ يريد أن يكون المكتوب هو الحادث واقعاً، ففي أحداث سنة ٦٤هـ اتهمت قبيلة الأزدي بني تميم بأنهم قتلوا مسعود بن عمرو في البصرة ولولا حكمة الأحنف بن قيس - وكان يُعرف بالحلم - لسالت دماء كثيرة من القبيلتين، ولذا سرد الطبري ما حدث، وذكر مقطعاً من خطبته أمام وفديهما: «يا معشر الأزدي، أنتم جيرتونا في الدار وإخوتنا عند القتال...»^(٦٩)، وأكد الطبري بأبيات للهيثم بن الأسود مدحاً بالمقتول، مؤكداً ما حدث من صلح

(٦٦) المصدر نفسه: ٢٣٤/٧-٢٣٦.

(٦٧) المصدر نفسه: ٢٣٥/٥، والمثل في: «مجمع الأمثال»، الميداني، (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم): ١/٣٣.

(٦٨) «تاج العروس من جواهر القاموس»، الزبيدي، (بتحقيق عبد المنعم خليل - كريم سيّد محمد): مادة: «حين».

(٦٩) «تاريخ الطبري»: ٥/٥٢٦.

وإطفاء نار الفتنة بين القبيلتين، مطلعها:

أعلى بمسعودِ الناعي فقلتُ لهُ

نعمَ اليمانيّ تجرّوا على الناعي

(٥)

إنّ الشاهد الشعريّ الذي وظّفه الطبري في تاريخه يتوزّع على أربعة أنواع هي:

١- صاحب الشعر أو قائله.

٢- الشعر المنحول أو المصنوع.

٣- الشعر المجهول النسبة أو القائل.

٤- الشعر المختف في نسبه أو المتدافع.

وقد غطى ما تقدّم من البحث النوع الأول عند سرد الأحداث، وكان النوع الثاني مدار نقدنا في المنعطف الثاني (توثيق النص الشعري)، وما تبقى هو النوعان: الثالث والرابع.

الشعر المجهول النسبة أو القائل: وهو الشعر الذي يهمل المؤرخ أو صاحب السيرة أو المفسر أو أهل الأدب ذكر قائله اختصاراً، أو جهلاً به، أو لشيوع تداوله بين الناس. ولنا في هذا النوع خمسة أشكال: هي:

١- **قال الشاعر:** وفي هذا يغيب عنّ يكون هذا الشاعر زمناً ومكاناً، وفي هذه الحال يتمثل ببيت لذلك الشاعر في أحداث سنة ٢٥هـ على لسان

سعيد بن العاص:^(٧٠)

استبقي ودك للصديق ولا تكن

قنّباً يعص بغاربٍ ملحاحا

٢- **استعمال بعض الكلمات التي تدل على الجمع ويراد منها الدلالة على المفرد:** كما

(٧٠) المصدر نفسه: ٤/٣٨٧.

في أحداث سنة ١٩٨ هـ، «فقال في ذلك بعض الأبناء»^(٧١):

أَيُّ الْأَمِيرِ - وَقَوْلُهُ وَفَعَالُهُ

حَقٌّ - بَجَمْعِ مَعَاشِرِ الزَّعَارِ

٣- النّسبة إلى القبيلة: ومثاله (كما قال أخو بني كنانة)^(٧٢) في أحداث سنة (٤٣ هـ):

كَمْ رُضِعَةٌ أَوْلَادٌ أُخْرَى وَضِيَعَتْ

بَنِيهَا فَلَمْ تَرْقِعْ بِذَلِكَ مَرْقَعَا

٤- اعتماد النكرة بتخصيص القبيلة: ومثاله

قول الطّبري في أحداث سنة ٣٦ هـ: «وأقبل غلامٌ

من جهينة على محمد بن طلحة، وقال في ذلك

شعرًا»^(٧٣):

سَأَلْتُ ابْنَ طَلْحَةَ عَن هَالِكٍ

بِجَوِّفِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُفَبِّرِ

٥- اتّخاذ الاسم المفرد معرفًا بقبيلته: ومثاله

قول الطّبري: «وكان رجلٌ من بني أسد يُقال له

إسماعيل» في أحداث سنة ١٠٢ هـ الذي يقول^(٧٤):

لِخُدَيْنَةَ الْمَرْأَةِ وَالْمُشْطِ

زَعَمْتَ خُدَيْنَةَ أَنْتَنِي مِلْطُ

الشعر المختلّف في نسبته أو المتدافع فيه: ولنا فيه

مثالان:

١- الاختلاف في النسبة قد يكون عن إشكال

في اسم الشاعر: مثاله: هل هو أذينة بن كليب، أو

كليب بن أذينة بالنسبة إلى اسم الشخص الواحد،

أو يكون أذينة غير كليب كما في أحداث سنة

(٧١) المصدر نفسه: ٤٩٦/٨.

(٧٢) المصدر نفسه: ٢٠١/٥.

(٧٣) المصدر نفسه: ٤٦٥/٤.

(٧٤) المصدر نفسه: ٦١٤/٦.

١٠٤ هـ في قول الطّبري: «فقال أذينة بن كليب-

أو كليب بن أذينة»^(٧٥):

تَصَبَّرَ أَبُو يَحْيَى فَقَدْ كُنْتُ - عَلِمْنَا -

صَبُورًا وَنَهَاضًا بِثِقَلِ الْمَغَارِمِ

٢- وقد يكون الاختلاف في نسبة الأبيات بين

شاعرين: وفي هذا يذكر الطّبري في القسم الأوّل

من تاريخه- ما قبل الإسلام- في موضوع (نزول

قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف)

ببيتين من الشعر ينسبهما إلى عمرو بن عدّي^(٧٦):

صَدَدَتْ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو

وكان الكأس مجراها اليمينًا

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو

بصاحبك الذي لا تصحبنًا

وفي هامش التحقيق قال المحقّق: «البيتان يُنسبانِ

إلى عمرو بن كلثوم، وهما في معلقته ص ٢١١ شرح

التبريزي، وفي شرح القصائد التسع المشهورات^(٧٧)

لأبي جعفر النّحاس (ت ٣٢٨ هـ) ذكر البيت

الأوّل فقط، وفي جمهرة أشعار العرب^(٧٨) لأبي

زيد القرشي (ت: في القرن ٥ هـ) روي البيتان مع

بعض الاختلاف، ولم يرو ابن ميمون (ت ٥٩٧ هـ)

(٧٥) المصدر نفسه: ١٦/٧.

(٧٦) المصدر نفسه: ٦١٦/١.

(٧٧) «شرح القصائد التسع المشهورات»، أبو جعفر

النّحاس، تحقيق أحمد خطّاب، وزارة الإعلام، دار الحرّية

للطباعة، بغداد، ١٣٩٣ هـ/١٩٧٧ م.: ٦١٨/٢.

(٧٨) «جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام»: أبو

زيد القرشي، (بتحقيق: علي محمّد البجاوي): ٢٣٧/١.

(٧٩) «منتهى الطّلب من أشعار العرب»، ابن ميمون،

(بتحقيق: محمّد نبيل طريفي): ١٢٥/١-١٤٨.

البيتين في كتابه (مُنْتَهَى الطَّلَب) (٧٩).

الخاتمة

لا تختلف المظانُّ التَّاريخيَّةُ في علميَّة محمَّد بن جرير الطَّبْرِيِّ وسعة معارفه؛ فقد كان مُفسِّراً وفقهياً ومُؤرِّحاً، فإذا وقفنا عنده مُؤرِّحاً وجدناه ثقةً في سرد الأحداث التَّاريخيَّة التي أرَّخ لها، دون أن يُفارق القدماء في نقوله.

ولذا نلحظ:

أولاً: إنَّ الحياءَ الذي كتب به الطَّبْرِيُّ تاريخه هو السَّمة البارزة لوجهة نظره، فلا يُبدي أيَّ انحياز لطرف على حساب طرفٍ آخر.

ثانياً: إنَّ الطَّبْرِيِّ لا يختلف عن القدماء في سرده لأحداث التَّاريخ، باعتبار أنَّ القدماء على صواب في آرائهم.

وإنَّا زَيْنَ الطَّبْرِيِّ المؤرِّخُ كتابه (تاريخ الرِّسل والملوك) بالشعر في أحداث تاريخيَّة مُعيَّنة، كان الغرض منه لا يخرج عن سرد هذه الأحداث، أو تأييد لوجهة نظره المحايدة، أو تزيين الأمثال بالشعر، أو توكيد الأحداث نفسها.

وما يُلفت نظرنا أنَّه لا يمتلك حسًّا نقديًّا يُميِّز بين الشعر الصَّحيح والمنحول، أو يعطي رأياً في الشَّاعر أو الشعر.

وقد تمثَّلت نسبة هذا الشعر لقائله في هذه الشواهد الشعريَّة في: ما قاله صاحبُ الشعر، أو نُسبَ إلى شاعرٍ آخر، أو كان منحولاً عليه، أو فُقدَ قائله ولم تُعرَف نسبته إلى شاعرٍ بعينه.

المصادر والمراجع

- «إنبأه الرِّواة على أنبأه النِّحاة»، جمال الدِّين

القفطِّي، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

- «تاج العروس من جواهر القاموس»، السَّيد مرتضى الزَّبيدي، تحقيق عبد المنعم خليل - كريم سيد محمَّد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

- «تاريخ الأدب العربي»، كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النَّجَّار - د. السَّيد يعقوب، دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- «تاريخ بغداد أو مدينة السَّلام»، الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربيِّ بيروت، د.ت.

- «تاريخ الطَّبْرِيِّ (تاريخ الرِّسل والملوك)»، أبو جعفر الطَّبْرِيِّ، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.

- «جمهرة أشعار العرب في الجاهليَّة والإسلام»، أبو زيد القرشي، تحقيق عليِّ محمَّد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١، ١٩٦٧م.

- «ذيول تاريخ الطَّبْرِيِّ: الصَّلة والتَّكلمة والمنتخب»، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢م.

- «الرِّواية الثَّانية: دراسة تحقيق النُّصوص في مصادرها الثَّانوية»، عبد العزيز إبراهيم، دار الشُّؤون الثَّقافية العامَّة، بغداد، ط ١، ١٩٩٨م.

- «سيرة ابن إسحاق (كتاب السَّير والمغازي)»، محمَّد بن إسحاق بن يسار المطلبِّي (ت ١٥١هـ)، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- «السَّيرة النَّبويَّة»، ابن هشام، تحقيق مصطفى السَّقا وإبراهيم الأبياريِّ وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م.

- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، ابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- «شرح ديوان الفرزدق»، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة، بيروت، ط ١، ١٩٨٣ م.
- «شرح القصائد التسع المشهورات»، أبو جعفر النحاس، تحقيق أحمد خطّاب، وزارة الإعلام، دار الحرّية للطباعة، بغداد، ١٣٩٣هـ/١٩٧٧ م.
- «طبقات فحول الشعراء»، ابن سلام الجُمحي، تحقيق محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، بيروت، د. ت.
- «الفهرست»، ابن النديم، تحقيق محمّد رضا تجدد المازندراني، طهران، ١٣٩١هـ/١٩٧١ م.
- «في الشعر الجاهلي»، د. طه حسين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١، ١٣٤٤هـ/١٩٢٦ م.
- «مجمع الأمثال، للميداني»، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م.
- «المحمّدون من الشعراء وأشعارهم»، جمال الدين القفطي، تحقيق رياض عبد الحميد، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٢٥هـ/١٩٧٥ م.
- «مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة»، د. ناصر الدّين الأسد، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٦ م.
- «معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ»، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت د. ت.
- «منتهى الطّلب من أشعار العرب»، محمّد بن ميمون، تحقيق د. محمّد نبيل طريقي، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م.
- «النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، ابن تغري بردي، تحقيق د. محمّد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢ م.
- «الوافي بالوفيات»، خليل بن أيبك الصّفديّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق أبو عبد الله جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٠ م.
- «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان»، أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧ م.